الفصل الثامن

في الرجلة من أسيوط إلى العربية المدفونة

كيلو متر

٢٠ من أسيوط إلى أبي تيج.

٤٣ من أبي تيج إلى طهطا.

٤٢ من طهطا إلى سوهاج.

١٨ من سوهاج إلى المنشية.

٢١ من المنشية إلى جرجا.

١٣ من جرجا إلى البلينا.

٥٥٦ من بولاق مصر إلى البلينا.

فإذا خرجنا من أسيوط وقصدنا الجنوب فإننا نرى بندر أبي تيتج وهناك قرية البنداري وقرية الخوالد الواقعتان في شرق النيل وبهما كثير من المغارات المنحوتة في الجبل وأغلبها خال من النقوش مثل مغارات قرية الغنايم الواقعة في الجبل الغربي غير أن بعضها يشابه بعض مقابر باب الملوك لكنها صغيرة جداً ثم نقصد قرية فاو الكبير الواقعة في شرق النيل ومقابرها مهمة لأنها قديمة جداً من عمل العائلة الخامسة والسادسة وخطها بارز وقد سلط الله عليها المقاتلين والحجارة فأتلفوا جانباً منها في العام الماضي والذي قبله مع أنها مهمة جداً للتاريخ وبجوارها من جهة الجنوب عمارة من اللبن الجافي المختوم عليه باسم أحد الملوك تشبه الهرم يبلغ إرتفاعها نحو الخمسين متراً وهي مركوزة على الجبل وعلى نحو ثلث ساعة منها مقابر منحوتة في جوانبه كأنها منازل بها أروقة يعلو بعضها بعضاً وأغلبها خال من النقوش وقد سلط الله عليها تجار الأنتيكة فنبشوا جميع قبورها.

ولما وصلت إلى بندر سوهاج أخبرني حضرة مديرها أن بالجبل الغربي مقابر بها آثار كثيرة فتوجهت لرؤيتها مع طلوع الشمس وصحبتي الخبير وبعض العرب وأحد العمد والخفراء فما

صعدنا الجبل إلا وقوي علينا سلطان الحر وبسط بساط الجمر وعصفت ربع الدبور كالتنور المسحور وإنفجرت ينابيع العرق وركبناط طبقاً عن طبق وكنا كلما نسير يشتد علينا الخطب الخطير فما حان الظهر إلا وكانت الهاجرة تنضج الجلود وتذيب الجلمود

وكنا تارة نجوب الصحصح الأفقر وأخرى تخترق القاع الأعفر ونمر على سمول وقفار بها رمال كموج البحار و نري كثباناً من الأحجار لها سناء يأخذ الأبصار كأنها قطع البلور أو الثلج المنثور وكنا نرقي بالجمال قلل الجمال ونمط في الأودية ونصلي شواظ الهاوية ومازلنا نجول ونجوب حتى مالت الشمس إلى الغروب وقدم مسنا اللغوب وما وصلنا تلك المقابر إلا بعد ما بلغت القلوب الحناجر من مكابدة الهواجر ثم نزلنا لنستريح وقد لفحت وجوهنا الريح أما المقابر فكانت معونة كالآبار في صميم الأحجار ومردومة بالزلط والحراسات المجهول عمل الآن وبامتحانها علمت أن المعول لا يعمل فيها ولا نوى على فتم فيها ثم تركناها وركبنا الجمال وقصدنا جهة الشمال ومازلنا في سير وتعب وعناء ونصب إلى أن ليس الليل جلبابه وأفرغ علينا إهابه فاضطجعنا والوحوش تدانينا والذئاب تنادينا ولما أنبلج النهار قصدنا مكان الآثار وحشتنا الركاب حتى وافينا جبلا قد عانق السحاب فعلمنا من الخبير أنه لاسبيل الى المسير فهنا لك ترجلنا عن الدواب وتركناها مع بعض الأعراب ثم سرنا على الأقدام ثلاث ساعات بالتمام وفاجأتنا الهاجرة بالهجوم تجرذيل السموم واشتعلت البسيطة من وقدة الحر حتى خلناها واديا من الجر والتهب الجو واشتد زفيرا لنو وصارت الرمضاء كالنيران حتى ركب النمل العيدان وغلبت حمارّة القيظ وكدنا نتميز من الغيظ وإنجبست عيون العرق واستولى عليها القلق ثم تهنا في تلك الوهاد وما كان معنا ماء ولازاد فنزلنا في واد تضل فيه الجان ولا تهتدى إليه مردة الأعوان كثيراً لشعوب متشابه الدروب وكان اعترانا التعب وأوقد العطش في جوفنا جمرة اللهب فبقينا أحير من ضب وأذهل من صب لايقر لنا قرار ولايطاوعنا اصطبار وأخذ الدليل يبحث على السبيل ولم يجد اليه من سيل فغشينا من الهم ماغشى آل فرعون من اليم ووقعت على الأرض فاقد الحواس موقنا بحلول الباس وصارت الجماعة تجرى منها الى هنا وتضرع إلى الله الهنا وكانت ألسنتهم التوت وأجسامهم انضوت ووجوههم تغيرت وعقولهم تحيرت وأنا لم أزل مطروحاً على الحجارة الملتهبة بنار الحرارة ثم أتي الخبير وأوعز إلينا بالمسير وزعم أنه عرف المكان وأنفقات عين الشيطان فقمت وأنا غير قادر على الكلام وصارت الدنيا في وجهي كالظلام مع أن الحر يحكي نار الهجر ويذيب قلب الصخر ثم أدركنا وادياً تحفه الكهوف المرتبة الصفوف لايحصيها حاسب ولايحصرها

كاتب مملوءة بمونة تميل إلى الحمرة كأن عليها خاتم القدرة لايؤثر فيها الحديد إلا في الزمن المديد ثم تركناها ونحن في أسوأ حال من الظمأ أو حر الحبال ومازلنا نقاسي الشدائد في تلك الفدافد إلى أن رأينا البلاد كالخيال فأرسلنا خلف الركائب والرجال ولما أتت شربنا وطربنا وعدنا إلى ما كنا ثم ارتحلنا الرواجل حتى أتينا السواحل وإني أحمد الله على السلامة في السفر والإقامة

(رجع) ثم نصل إلى قرية البلينا الواقعة في جنوب بندر جرجا ومنها إلى قرية العرابة المدفونة نحو الساعتين وليس بها الآن غيراً كام مكومة وأطلال متهدمة أما آثارها فأربعة أشياء أولها معبد سيتي الأول ثانيها معبد ابنه رمسيس الاكبر (وهما من العائلة التاسعة عشرة).

ثالثها مدفن أوزي ريس (ومكانه مجهول الآن) رابعها المقابر التي بجواره أما معبد سيتي فجميعه مزين بالرسم البديع المحكم الصنعة لكنه لايخرج عن حد لوحات معبد دندره وسيأتي الكلام عليه وكل رسم وجد به اسم الملك أو صورته كان من حسنه أعجوبة للناظرين وانا قارنا زينته بما في معبد رمسيس إلا كبر وجدنا هما على طرفي نقيض وبينهما بون بعيد لأن الثاني به عيوب ظاهرة نشأت من الاهمال في الصنعة كما أن بالأول رموزاً كثيرة خفية عسرة الفهم تفوق صعوبتها جميع ما بالمعابد المصرية الباقية من ذلك مخالفة وضع جناح المعبد من جهة الجنوب حتى صار كأنه لغز لا يمكن فك معماه ومنها اجتماع صورتي الأب والأبن مع بعضهما بكيفية خاصة وغاية ما قالوه في ذلك هو إما ترد رمسيس اشترك مع أبيه في الحكم وهو يافع واما أن المعبد بني مدة اشتراكهما معاً .

أما وصفه فهو أنه مبنى بالحجر الجيري الأبيض النقي وأرضه منحدرة قليلا إلى الغرب وبه أيوانان عظيمان يفصلهما عن بعضهما جدار من الحجر وبهما أساطين (عمد) عليها نقوش جميلة لكنها دينية وعلى الحائط الجنوبي كتابة يعلم منها جميع ما صنعه رمسيس الأكبر من الأصنام والتماثيل التي نصبها بمدينتى طيبة ومنفيس لقصد تخليد ذكر أبيه وأنه شيد أبواب المعبد وختم عباراته بوصف نفسه حينما كان صغيرا و ما ناله من الرتب السامية حالة شبيبته وفي رحبة المعبد صفان من العمد بهما ٢٤ عمودا وعلى حيطانها صورة الآلهة وهو يقدم لهم القرابين ويلي ذلك أسماء الجهات ا لتي كان حاكماً عليها وبفنائه ثلاثة صفوف من العمد بها ستة وثلاثون عموداً سبعة منها خاصة بكل من (هوروس) و(إيزيس) و(أوزير يس) و (أمون) و (هر ماخيس) د (فتاح) وسابعها خاص بالملك سيتي ولها سبع محاريب أو غرف معقودة ستة منها للمعبودات

المذكورة والسابعة للملك المذكور وهو مصور بها كأنه جالس على قضبان تحمله المعبودات وأمامه صورته خاضعة له كأنها تعبده فهو يعبد نفسه بنفسه وهذا من أغرب خرافاتهم وربما كان تخيل أن روحه تطهرت من جمع الدنس والأرجاس حتى صارت في أعلى عليين والتحقت بالآلهة في عالم الملكوت فهو يعبدها في هذه الحياة الدنيا والله أعلم بما وسوس له شيطانه وكأنه ما كفاه عبادة رعيته له حتي عبد نفسه وجميع نقوش هذه الغرف عبارة عن صورته تعبد صور الآلهة وفي نهاية المعبد من جهة الجنوب قاة بها أسماء الملوك التي حكمت مصر قبله مفتتحة باسم منا رأس الفراعنة وختمته باسم سيتي الأول وعدد الجميع ٧٦ ملكاً وبها صورته وصورة ابنه قائمات أحدهما يبخر والآخر يرتل القصائد الدينية أما معبد رمسيس الأكبر فواقع في شمال معبد سيتي المذكور وقد اعتراه الخراب التام حتى صارت أركانه قياما وقعوداً وحيطانه ركعاً وسجوداً لا تبلغ أعلى نقطة فيه أكثر من متر ونصف ومن هذا المعبد أخذ الأنكليز رواق أسماء الملك الموجود الآن في دار تحفهم ولذلك ضمر بناعن وصفه صفحا أما قبر (أوزيريس) فهو إلى الشمال من معبد رمسيس الأكبر وهناك ترى سورا واسعا مبنيا باللبن ظن بعض المؤرخين أنه مكان مدينة (طانس) القديمة التي هي وطن الملك منا وذكر قدماء المؤرخين أن قبر(أوزيريس) موجود في هذه الجهة ولذا كانت قرية العرابة كقبلة يؤمها جميع المصرين ويدفنون بها موتاهم تبركاً بقبر معبودهم المذكور راجع كيفية قتل هذا المعبود في آخر الكتاب عند ذكر المعبودات وقال(بلوتاركه) أن مياسير المصريين وأغنيائهم كانوا يأتون من كل فج عميق ومكان سحيق ليدفنون أموتاهم بجوار قبر هذا المعبود وذكر ما رييت باشا أن هذا القبر ليس له أثر معروف الآن في هذه الجهة ولكن ربما يكون تحت الكون السلطاني أو بجواره وهو قل عظيم نشأ من بناء المقابر فوق بعضها مع تعاقب الأزمان وأن الحفر فيه له فائدتان أحداهما أننا كلما نتعمق في الحفر نجد المقابر أقدم من التي فوقها حتى نصل إلى مقابر العائلة الأولي وثانيتهما يوشك أننا نعثر ذات يوم على قبر المعبود المذكور أقول لما توجهت إلى قرية العرابة المدفونة سنة ١٨٩٢ مسيحية

وجدت الفلاحين نقلوا أغلب هذا الكوم إلى غيطانهم ولم يبق منه إلا القليل ولعلهم أخذوا القبر وسمدوا به أرضهم فتحول إلى زرع أكلته البهائم ولما توجهت في شهر سبتمبر سنة ٩٤ إلى جهة العرابة لم أجد للتل المذكور إلا بعض أكمات صغيرة أما المقابر فتمتد ما بين الجبل وأطلال هذه القرية وأولها مسيرة ساعة وأكثر وقد نبشت مصلحة حفظ الآثار أغلبها واستخرجت منها أحجارا كثيرة مكتوبة تعرف عندنا باسم الشاهد وجميعها موجود الآن بالمتحف المصري ومنها

علمنا أنها كانت للعائلة السادسة والثانية عشرة والثالثة عشرة وأغلب قبور هذه الأخيرة مبني على هيئة أهرام صغيرة جوفاء مقببه وفي بعضها بروز كالأشرطة تمر بزواياها المتقابلة وتتقاطع في المركز تعرف في ن ال عمارة باسم العقود المتصلبة وبالجملة قد يوجد إلى الآن بقرية العرابة المدفونة آثار ومعابد مطمورة بسافى الأتربة قد بنت الأهالي فوقها دورهم ومنازلهم انتهى ما أردنا تلخيصه